الفصل الثانى

الدواء والأعشاب

إنَّ المملكة النباتية زاخرة بالأدوية المختلفة ، وعلى سبيل المثال « الكينين» الذى كان يعتبر إلى وقت قريب الدواء الفعال الوحيد لمرض الملاريا والديجتالس والمورفين والبلادونا والكورارى والبنسلين وعين القط ، وكلها ذات أصل نباتى .

إذن فالمملكة النباتية هى المصدر الرئيسى للأدوية ، وقد سبق للشعوب القديمة استعمال النباتات الطبية على نطاقٍ واسع ؛ لأنها كانت تمثل العمود الفقرى للدواء وقتذاك .

وينبغى الإشارة إلى أنَّ تركيز المادة الدوائية داخل نبات ما يختلف من وقت لآخر وفقاً للظروف الجوية التى تؤثر على النبات ، وقد عرفنا ما جرَّ به أسلافنا فى القدم من هذه النباتات ، بواسطة البرديات التى تركوها ، أو ما كتب باللغة السنسكريتية ببلاد الهند ، ورغم فائدة الكثير من هذه النباتات فى

علاج الكثير من الأمراض ، إلاَّ أنَّ بعضها له مفعول قاتل بما يحويه من تركيز شديد للسموم ، وعلى سبيل المثال :

بذور التفاح التى تحتوى على ماة السيانيد شديدة السمية ، كما أنَّ نبات الفقوس الإنجليزى يحتوى على قلويد التاكسين الذى يسبب موتاً فجائياً ، كما أنَّ أوراق خشب البقس ونبات السياج يحتويان على قلويد « بوكسين » الذى يسبب هبوطاً فى التنفس ، وربما الوفاة ، وتحتوى براعم البطاطس على نسبة من السمية ، ومن نباتات الزينة نبات الكلودوم الأمريكى الذى يسبب القىء الشديد ، وحدوث خلل فى ضربات القلب ، مع اضطراب وشلل فى التنفس ، ثم الوفاة ، كما تسبب حبوب اللقاح العديد من الأمراض الجلدية إذا سقطت على الجلد أثناء حملها بواسطة الرياح لتلقيح الأزهار هوائية التلقيح.

وعلى النقيض من ذلك نجد العديد من النباتات ذات الأهمية العلاجية الكبيرة بالنسبة للإنسان ، وعلى سبيل المثال : عين القط المشهور بـ «الفينكاروزا » والذى أنقذ حياة الكثيرين ممن كانوا يعانون من مرض «اللوكيميا » وورم « ويلم » و « ليمفومابيركت » .

لقد استطاع الإنسان أن يستخلص العديد من المسكنات والمهدئات من نباتات عديدة كالصفصاف ، والخشخاش ، وأصبح المورفين أشهر مسكن والساعد الأيمن للجراح فى غرفة العمليات .

إنَّ الصفات العلاجية التى يتميز بها نبات « الكورارى » والتى تُحدث ارتخاءً مثالياً للعضلات قد جعلت منه شيئاً حيوياً فى الجراحة المعقدة ، حيث يمثل انقباض العضلات وانبساطها مشكلة صعبة للجراح ، ورغم ذلك فهو سام ، ولذا يجب استخدامه بجرعات صغيرة للغاية ، ولهذا السبب (سميته) تستخدمه قبائل أمريكا الجنوبية فى صناعة السهام الممسومة .

لقد أنقذ نبات الديجتالس الملايين من مرضى القلب ، وذلك بسبب معالجته لهبوط القلب الاحتشائى ، كما أفاد نبات الراوليثيا الثعبانية فى الحصول على قلويد الريزربين الذى يفيد فى علاج ضغط الدم المرتفع ، والذى قد يقضى على الإنسان على حين غرة .

لا يمكن للإنسان أن ينسى ما حصل عليه من فائدة من نبات « الدحلاج » فى العلاج من مرض النقرس (داء الملوك) ، أما بالنسبة لأمراض العيون ، وبخاصة العيون المصابة بالجلوكوما ، فيستخدم فى علاجها دواء يستخرج من «لوبيا كلابار » الذى ينمو فى نيجيريا والبرازيل لاحتوائه على مادة بيلوكارين ، ومن ثمَّ فهو يحمى الإنسان من العمى ، بالإضافة إلى أنَّ نبات السواك يحتوى على بعض المواد المضادة للسرطان ، والنوع الهندى منه يحتوى على زيت يضاف إلى معاجين الأسنان لحماية اللثة من الالتهاب .

إنَّ ثمَّة مجموعة من المواد المستخلصة من بعض النباتات تعمل على

التنظيم الثابت للنسل مثل نبات البازيلا الذى يحتوى على مادة « ثنائى ميثيل هيدروكينون » ، وقد ساعد هذا النبات على ثبات عدد سكان هضبة التبت لتناولهم لنبات البازيلا الذى ينمو فى بلادهم كغذاء ، أما نبات القطن فهو يحتوى على مادة « الجوسيبول » التى تسبب العقم المؤقت للرجال ، وذلك بتثبيط حركة الحيوانات المنوية لفترة محدودة تبلغ من « ٣ ـ ٤ » أسابيع ، وتزول بزوال المؤثر .

وبالنسبة لأمراض الجهاز التنفسى من حالات الضيق فى التنفس والربو ، والتهابات القصبات الهوائية ، فقد وجد الإنسان ما يفيد فى علاج هذه الأمراض من خلال النباتات الطبية مثل :

نبات الافدار الصينى الأصل « ماهوانغ » الذى يحتوى على قلويد الأفدرين ، كما يلاحظ أنَّ نبات الشاى تحتوى أوراقه على مادة « أثيوفللين » المعالجة لمرض الربو ، ويستخدم نبات عرق الذهب « الابيكاك » فى تنظيف الرئتين والقصبات الهوائية من البلغم .

وبالنسبة لأمراض الجهاز الهضمى ، فقد حبانا الله بوجود العديد من النباتات الطبية التى تعمل على تخفيف أعراض أمراض الجهاز الهضمى ، ومن ذلك ما يفيد فى التخمة وسوء الهضم ، ومنها ما يخفف التقلصات المعوية ، ومنها ما ينشط عملية الهضم ، كما أنَّ جذور نبات العرقسوس مفيدة جداً فى علاج القرحة المعدية .

لقد حظيت الهرمونات الجنسية بالعديد من النباتات التى أصبحت متوفرة بسهولة ، والتى تعمل على تنظيم النسل ، كما تفيد المرأة فى حالة إضطراب الدورة الشهرية وآلامها والتوتر النفسى الناجم عن ذلك .

من هذه النباتات نبات « البام » الذى يحتوى على مادة « ديوسجنين » التى يسهل تحويلها كيميائيا إلى هرمونات جنسية تساعد على تنظيم النسل ، كما توجد هذه المادة فى نبات شائع هو فول الصويا الذى يزرع فى الصين وآسيا وإفريقيا بشكلٍ رئيسى .

من النباتات الطبية المنظمة أيضاً لعملية النسل نبات « لنصاسو » الذى ينمو فى الصين ، والذى يتناوله الرجل وليس المرأة ، حيث له القدرة على تقليل كفاءة الحيوانات المنوية للرجل ، كما توجد المقويات الجنسية النباتية مثل نبات « اليوهمبى » ، الذى يعتبر لحاؤه مقويًا جنسيًا ، وهو ينمو فى الكاميرون .

وبالنسبة للأمراض الجلدية ، يوجد العديد من الزيوت النباتية (سواء أكانت طيارة أم ثابتة) تعمل على تحسين ملمسه وتطريته من خلال العطور والمعاجين والصابون والمراهم والشامبو ، والتى تدخل فى صناعتها هذه الزيوت.

توجد أيضاً الأدوية الخفية ، والتى تتمثل بصورة أساسية فى الشاى

والقهوة والكاكاو والشوكولاتة ، والتى يجب تناولها بقلة وبحذر ؛ لأنَّ نهايتها سيئة .

من خلال ذلك نلاحظ وجود إيجابيات وسلبيات فى استخدام الأعشاب للمداواة ، ولكن السلبيات إذا قيست إلى الإيجابيات ستكون قليلة لا شك ، وعلى كلٍ فالطلب على الأعشاب الطبية فى زيادة مضطردة ، بل وتوجد الكثير من المراكز البحثية العاملة فى مجال الدواء والتى تهتم بطب الأعشاب ، ولكن ليس معنى ذلك أن نستخدم الأعشاب بلا احتياطات ، بل يجب أن يزداد الحذر بزيادة الكم المطلوب من هذه الأعشاب ، كما يجب أن تقنن تجارة الأعشاب حتى لا تتاح الفرصة لقراصنة الأعشاب فى الإتجار بأرواح البشر دون علم أو خبرة .

***